

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس السادس : من تفسير سورة النور من كتاب تفسير القرآن من صحيح الإمام البخاري

سورة النور

بَابُ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: 12] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 105]

4750 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عُتِبَ بِنِ مَسْعُودٍ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلَ الْإِفْكَ مَا قَالُوا، فَبَرَّاهَا اللَّهُ مَا قَالُوا، وَكُلَّ حَدَّثِي طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيثِ وَبَعْضَ حَدِيثِهِمْ يَصْدُقُ بَعْضًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ الَّذِي حَدَّثِي عُرُوقًا، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهَا نَزَلَ الْحَجَّابُ، فَأَنَا أَحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأَنْزَلَ فِيهِ، فَسَرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلْ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْهَدْيَةِ قَافِلِينَ، أَذِنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَفَهَّمَتْ حِينَ أَذْنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَالْتَهَمْتُ عَقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خَفَافًا، لَمْ يَثْقُلْنِ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ الْعَلَقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَتِكِرِ الْقَوْمُ خَفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَهْلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَهَا اسْتَهَرَ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مِنْزَلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلَا مَجِيبَ فَاهَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنَمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمَعْطَلِ السَّلَمِيُّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَادْلَجَ فَاصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَّفَنِي حِينَ رَأَيْتِي، وَكَانَ رَأَيْتِي قَبْلَ الْحَجَّابِ، فَاسْتَيْقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَّفَنِي فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا كَلَمَنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبَتْهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَهَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مِنْ هَلَكٍ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْهَدْيَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يَفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكَ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيْبُنِي فِي وَجْعِي، أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟» ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرِيْبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالْشَرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَهَا نَقَمْتُ، فَخَرَجْتُ مَعِي أَمْرٌ مَسْطَحٌ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكَنْفَ قَرِيبًا مِنْ بِيوتِنَا، وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّبَرُّزِ قَبْلَ الْغَائِطِ، فَكُنَّا نَتَّأَذِي بِالْكَنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بِيوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَمْرٌ مَسْطَحٌ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رَهْمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَمَّا

بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثه، فأقبلت أنا وام
مسطح قبل بيّتي، وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس
مسطح، **فقلت لها**: بنس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟ قالت: أي هنتاه أولم
تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على
مرضي، فلما رجعت إلى بيّتي، ودخل علي **رسول الله صلى الله عليه وسلم** تعني سلم،
ثم قال: «**كيف نيكمر**» فقلت: أتأذن لي أن أتى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن
أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فجئت
أبوي فقلت لهما: يا أمّاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما
كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت
سبحان الله، أولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا
لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى أصبحت أبكي، فدعا **رسول الله صلى الله عليه وسلم**
وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي،
يستمهرهما في فراق أهله، قالت: فاما أسامة بن زيد فأشار علي **رسول الله صلى الله عليه وسلم**
عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا
رسول الله، أهلك ولا تعلم إلا خيراً، وأما **علي بن أبي طالب** فقال: يا **رسول الله** لم
يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسال الجارية تصدقك، قالت: فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم **بريرة**، فقال: «**أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟**»
قالت **بريرة**: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغصه عليها، أكثر من أنها
جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقال **رسول الله صلى الله عليه وسلم**
الله عليه وسلم، فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال **رسول الله صلى الله عليه وسلم**
الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين من يعذرن من رجل قد**
بلغني أذاه في أهل بيّتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت
عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقال **سعد بن معاذ الأنصاري**، فقال:
يا رسول الله أنا أعذرک منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من
الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک، قالت: فقال **سعد بن عباد** وهو سيد الخزرج، وكان قبل
ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال **لسعد**: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا
تقدر على قتله، فقال **أسيد بن حضير** وهو ابن عمر سعد بن معاذ، فقال **لسعد بن**
عبادة: كذبت لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتتاور الحیان
الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، و**رسول الله صلى الله عليه وسلم** قائم على
المنبر، فلم يزل **رسول الله صلى الله عليه وسلم** يخفضهم حتى سكتوا، وسكت، قالت:

فَبَكَيْتَ يَوْمَ ذَلِكَ لَا يَرْقَا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمَ، قَالَتْ: فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ
بَكَيْتَ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمَ، وَلَا يَرْقَا لِي دَمْعٌ، يَظُنَّانِ أَنَّ الْبَكَاءَ فَالِقُ كَبَدِي،
قَالَتْ: فَبَيْنَهُمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذِنْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذْنَتْ لَهَا
فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيْنَا **رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**
وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ «لَبِثُ»
شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي، قَالَتْ: فَتَشْهَدُ **رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حِينَ
جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً
فَسِيرِيكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلْهَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ
بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى **رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**
وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ **رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى**
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا قَالَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ **لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**
وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَدُمِّي: أَجِيبِي **رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا
مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ
وَصَدَقْتُمْ بِهِ فَلَنْ، قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَنْ
اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقَنِي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي
يُوسُفَ، قَالَ: ﴿فَصَبِرْ جَوِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُفَ: 18]، قَالَتْ: ثُمَّ
تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرِنِي بِبِرَائَتِي،
وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مَنْزِلُ فِي شَأْنِي وَحْدًا يَنْتَلِي، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ
أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِي بَأْسٍ يَنْتَلِي، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى **رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ**
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النُّورِ رُؤْيَا يَبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَى **رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ**
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ
الْبَرَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَهَانِ مِنَ الْعَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثَقَلِ الْقَوْلِ
الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سَرَى عَنْ **رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سَرَى عَنْهُ وَهُوَ
يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّكَ» فَقَالَتْ
أُمِّي: قَوْمِي إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحُدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ الْعَشْرُ الْآيَاتِ كُلِّهَا،
فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بِرَائَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى
مَسْطَحِ بْنِ أَنَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مَسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ
لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى

وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا، أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَىٰ وَاللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مَسْطَحِ
النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يَنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَهْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ مَاذَا
عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ:
وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَاهِمُنِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ
بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ أَخْتُهَا حَمْنَةُ تَحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيهِمْ هَلَكٌ مِنْ أَصْحَابِ الْإِفْكِ.

عصر يوم الأحد 16 محرم 1444 هجرية

مسجد إبراهيم _ شحوح _ سيئون